بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج (أخلاق اجتماعية)

الدكتور محمد خير الشعال

http://dr-shaal.com

الحلقة الخامسة:
(بر الوالدين)
(خمسة أمورٍ بها تُعين ولدك على برك)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

أرحّب بكم -أيها الإخوة المستمعون- في برنامجكم "أخلاق اجتماعية"، نتدارس فيه بعض الأخلاق الاجتماعية، الإيجابية منها والسلبية، لنبيّن حَسَنَها، ونحذّر من قبيحها وسيئها.

حدثتكم في الحلقة الماضية عن بر الوالدين، وكان الحديث في أجور بر الوالدين، وسيكون حديثنا اليوم في خمسة أمورٍ بها تُعين ولدك على برك... قال الشيخ إبراهيم المنذر:

أغرى امرؤٌ يوماً غلاماً جاهلاً بنقوده حتى ينالَ به الوطَرْ [1]
قال ائتني بفؤاد أمك يا فتى ولك الدراهمُ والجواهرُ والدُّرَرْ
فمضى وأغمد خِنجَرَاً في والقلبُ أخرَجه وعاد على الأثَرْ
لكنه من فرط دهشته هوى فتدحرج القلب المعفَّرُ إذ عثَرْ
ناداه قلب الأم وهوَ معفَّرٌ ولَدِي حبيبي هل أصابك من
فكأن هذا الصوت رغم حُنوّهِ غضبُ السماء به على الولد
فاستلّ خِنجَرَه ليطعن نفسه طعناً سيبقى عبرة لمن اعتبَرْ
ناداه قلب الأم كفّ يداً ولا تطعن فؤادي مرتين على الأثَرْ[2]

---

[1] () الوطر: الحاجة.

[2] () مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ص32

بداية: عندما يتحدث القرآن عن حقوق الزوج على زوجته فإنه يتحدث في مواضعَ أخرى عن واجبات الزوج نحو زوجته، حتى تكتمل الصورة من كلّ جوانبها...

وعندما يتناول حديثُ سيدنا محمد ✕ حقوقَ العمال على مدرائِهم فإنه يتكلم عن واجباتهم أيضاً حتى تكتمل الصورة من كل جوانبها...

وهكذا عندما يتحدث الإسلام عن حقوق المعلّم يتحدث عن واجباته نحو طلابه, وعن حقوق الجار يتحدث عن واجباته، وعن حقوق الرحم وواجباتها...

وبناءً عليه, فإن الإسلام عندما يحثّ الأولاد على بر الوالدين فإنه يحثّ الوالدين على إعانة الولد على البر وإخراجه من العقوق، وربنا جل جلاله يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:٢]، وفعل (تعاونوا) على وزن (تفاعلوا)، وتَفاعَل يحمل معنى المشاركة، الولد يَبرُّ أباه, والأب يعين الولد على البر، الابن يَبر أمَّه, وأمُّه تعينه على البر، وجاء في الخبر: (رحم الله والداً أعان ولده على برِّه)[3].

- فكيف تعين ولدك على البر؟
تُعين ولدك على برك بخمسة أمورٍ:

- **<u>أولاً: باختيار أمه:</u>**

لأن النساء يلدنَ أشباهَهنَّ، وأشباه إخوانهن وأخواتهن، والمرأة البارّة تلدُ البارين, والمرأة الصالحة تنجب الصلحاء.

وليس النّبتُ ينبتُ في ... كمثل النّبتُ ينبت في
وهل يُرْجَىٰ لأطفالٍ ... إذا ارتضعوا ثُدِيَّ

- جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب ﷺ يشكو عقوق ولده, فأمره بإحضاره, فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين ما حقي على والدي؟ قال: أن يحسن اختيار أمك، ويحسن اختيار اسمك، ويعلمك القرآن، قال: ما فعل شيئاً من ذلك. فقال عمر للأب: انطلق فقد عققتَ ابنك قبل أن يعقَّك.

أوَّل ما تُعين به ولدَك على برِّك: اختيار أمه.

---

[3]() أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه. وقال المناوي في فيض القدير: (أخرجه أبو الشيخ بن حيان في كتاب الثواب عن علي أمير المؤمنين، وكذا عن عمر، وقال الحافظ

العراقي: وسنده ضعيف).

- **ثانياً: العدل بين الأبناء:**

فالعدل بين الأبناء يستخرجُ بـرَّهم، وتفضيل واحدٍ على الآخر يجلب عقوقهم، ويزرع بذور الشقاق بينهم.

- قال ✕: **«اعدلوا بين أولادكم في العطية»**[4] وفي لفظ: **«اعدلوا بين أولادكم في النِّحَل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البرِّ واللطف»**[5].

تحدث طبيب شاب قال: أنجب أبي ثلاث بنات ثم أتبعهنّ بثلاثة ذكور، لكن الولد الأول فينا ظلَّت له مكانةٌ خاصة ومميزة، ويحظى بحبِّ أبي وتفضيله علينا، وقد انعكس ذلك على أمي هي الأخرى التي أصبحت تُفضّل أخي الأكبر, والغريب أن أخي الأكبر أصيب بمرض فزاد الحب له، وأنفق أبي الكثير على زواجه, وخصَّه بعطية كبيرة دوننا!! نـحن نترحم على أبي الآن بعد وفاته، لكننا كنا نريد أن يعدل بيننا, ولا يفضل أحدَنا على الآخر....

العدل بين الأولاد في كلِّ صغيرة وكلِّ كبيرة من التقوى.. فقد قال رسول الله ✕: **«اتقوا الله, واعدلوا في أولادكم»**[6].

– يقول أحد موجهي وزارة التعليم: رحم الله أبي, كان يفضل أخي الأكبر علينا ويخصه بأدق أسرار عمله, ويقول: إنه يشقى في تحمُّل المسؤولية معه، وكان يتّخذه صديقاً له، أما نحن الصغار فلم يكن يُقرّبنا منه, وبعد وفاة أبي استولى أخي على كلِّ شيء ولم نأخذ من إرث أبي إلا القليل القليل، وكان هذا مصدر ألم متجددٍ لنا جميعاً، خصوصاً وأن فينا مَن لم يُوسّع الله عليه في الرزق، بينما أخي الأكبر يتمتع بكل الثروة هو وأولاده، ومنا من لا يترحم على أبينا, ومن أبنائنا من لا يذكر جدَّه بخير.

- وعن الحسن ▲ قال: بينما رسول الله ✕ يحدِّث أصحابه إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم, فمسح رأسه وأقعَدَه على فخذه اليمنى, قال: فلبث قليلاً, فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه, فمسح رأسها وأقعدها على الأرض, فقال رسول الله ✕: **«فهلا على فخذك الأخرى»** فحملها على فخذه الأخرى، فقال: **«الآن عدلت»**[1][1].

– وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: نحلني أبي نُحلاً, فقالت له أمي عَمْرَةُ بنتُ رواحة: إئتِ النبي ✕ فأشهده، قال: فأتى النبي ✕ فذكر ذلك له, فقال:**«ألكَ ولدٌ سواه؟»** قال: نعم, قال: **«فكلَّهم أعطيت مثل ما أعطيت النعمان؟»** فقال: لا. فقال ✕: **«ارجع فإني لا أشهد على**

---

[4] علّقه البخاري في "صحيحه" كتاب الهبة: باب الهبة للولد، وأخرجه أبي داود في "سننه" برقم (3546)

[5] ابن حبان في صحيحه [11/503]، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول [4/11].

[6] هذا اللفظ في "صحيح مسلم" برقم (4181)

[1][1] البر والصلة للحسين المروزي برقم (158).

جَور» [2][2]، وفي رواية: **«أليس يسرك أن يكونوا لك في البر واللطف سواء؟»** قال: نعم, قال: **«فأشهد على هذا غيري»** [3][3].

فبالعدل بين أولادك، وبحسن اختيار أمهم تُعينهم على برّك.

- **ثالثاً: الدعاء للأبناء:**

إن ما يعين الأولاد على البر الدعاءُ لهم بالهداية والصلاح، وهذا دأب الأنبياء كما يحدثنا القرآن الكريم.

- فهذا إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات: 100].
- ويقول عليه السلام: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: 35].
- وزكريا عليه السلام يقول: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران: 38]
- والمؤمنون يقولون: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: 74].

- وقال رسول الله ✕: **«ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوةُ المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»**[1][1], يعني: عليه أو له.

ولئن كان الدعاء للأولاد يكسبك بِرَّهم, فإن دعاءك عليهم يورثك العقوق، وقد شكا رجل إلى أحد العلماء عقوقَ ولده فقال له: أكنتَ تدعو عليه بشيء؟ قال: الأب: نعم, أن لا يوفقه الله, فقال العالم: لقد فعل الله, أنت أفسدتَه!

- قال رسول الله ✕: **«لا تدعوا على أنفسكم, ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة فينـزل فيها إعطاء فيستجابَ لكم»** [2][2].

- **رابعاً: تربيتهم تربية إسلامية صحيحة:**

لطالما جلست مع شباب في مسجد من المساجد في غيبة عن آبائهم أحدثهم عن البر وأدعوهم إلى البر فأبكي ويبكون، وأنا متأكّد أن آخرين بعيدين عن التربية الإسلامية يجلسون مع الأبناء ليقولوا لهم

---

[2][1] أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (2650), ومسلم في "صحيحه" برقم (4182).

[3](2) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (18378), وأبو داود برقم (3544).

[1][3] أخرجه أبو داود في "مسنده" برقم (1536), والترمذي في "جامعه" برقم (1905), وأحمد في "مسنده" برقم (7510) من حديث أبي هريرة ▲.

[2][1] أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (1532) من حديث جابر بن عبد الله ▲.

في غيبةٍ عن آبائهم: إن أباك رجلٌ رجعي، إن أمَّكِ ذات الحجاب متخلفة, إن طاعتَك لوالديك دليلُ نقصِك وعدمِ اكتمال رجولتك...

إن التربية الإسلامية تقوم على بر الوالدين, وإن التربية غير الإسلامية لا تحسب للبر حساباً.

إنك عندما تأخذ أولادك نحو بيوت الله، نحو أهل القرآن، نحو أصحاب الخير، فأنت تأخذ بيدهم نحو البر.

وإنك عندما تدفع أولادك إلى المدارس العلمانية، أو المدارسِ ذاتِ المناهج الغربية، أو أصحاب المقاهي والملاهي، فأنت تنـزع منهم البر, أو على أقل تقدير أنت لا تعيرُ البرَّ عندهم أيَّ اهتمام.

- شابٌّ يدرس في كلية الطب سافر الصيف الماضي إلى لندن لمدة شهرين ليتبع إحدى دورات اللغة الإنكليزية، استأجر غرفة في دار عند عائلة إنكليزية مؤلفة من زوجين جاوزا الستين، يسكنان وحدهما.
عاد الشابّ متأخراً إلى المنـزل في أحدِ الأيام وقد نام أهل البيت فشاهد في المطبخ أوانيَ متسخةً فأحبَّ أن ينظفها مساعدةً لهذه المرأة المسنّة، ففعل, وعندما أصبح الصباح سألته المرأة: من نظف الأواني؟ قال: أنا، قالت: كم تريد أجراً؟ فابتسم مستغرباً, وقال: لا, لا أريد, فعلتُ لوجه الله لأخفّف عنك فقط.

قالت له: عندنا كلُّ شيءٍ له ثمن, لا يوجد شيءٍ كما تقول أنت: لوجه الله؛ إن ابنتي تأتيني كلَّ أسبوع مرة لمدة ساعتين لتطبخ لي ولأبيها وتأخذ على هذا أجراً، وابني في كل عام يتصل بي في يوم عيد الأم إذا سنحت له الفرصة.

أتريد لابنك مثل هذه التربية؟!

البر تربية، والعقوق تربية.. وبالتربية الإسلامية الصحيحة تعين ولدك على برك.

- **خامساً: لا تكلفْهم ما لا يطيقون:**

إذا أردت بر أولادك بك فلا تكلِّفهم ما لا يطيقون...

- فالأم التي تطلب من ابنها أن يطلق زوجته تكلفهُ ما لا يطيق, وهي تدفعه إلى العقوق.
- والأب الذي يُثقِل كاهل أبنائه بطلباته المادية بغير ضرورة يكلفهم ما لا يطيقون, ويدفعهم إلى العقوق.

- والأم التي تدعو ابنتها إلى هجر زوجها تكلّفُها ما لا تطيق, وتدعوها إلى العقوق.
- والأب الذي يصبُّ على أولاده الشتائم, أو يوبخهم أمام أصدقائهم, يكلفُهم ما لا يطيقون, ويدفعهم نحو العقوق.

وربنا جل جلاله مع عظيم حقه على عباده قال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: 286], ودعا المؤمنون ربهم فقالوا: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [البقرة: 286].

فلا تثقل كاهل الأولاد بتكليفهم ما لا يطيقون تستجر بذلك برهم.

هذه خمسة أمور تعين بها أولادك على برك:

1. باختيار أمهم.
2. بالعدل بينهم.
3. وبالدعاء لهم.
4. وبتربيتهم تربية إسلامية صحيحة.
5. وألا تكلفهم ما لا يطيقون.

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: 74]

والحمد لله رب العالمين